رسول الله صلى الله عليه وسلم

''حيٌ في قلوبنا''

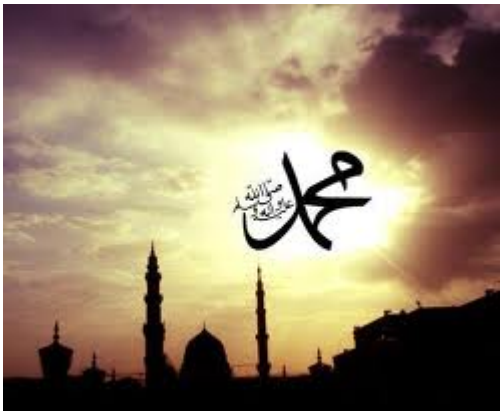

السيد إبراهيم أحمد

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران ـ ١٤٤)

''الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

فهذا الكتاب - على قصره - يتناول مباحث هامة في تأصيل مسائل تشابك فيها الفقه مع العقيدة مع السيرة المطهرة في إطار الالتزام بالنقل الصحيح وشيء من إعمال الفكر من أجل الخروج بقيم جديدة، ورؤى دقيقة من هذا الالتباس المصطنع أحيانًا في مسألة زيارة رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم -.

كما تعرض الكتاب إلى الإرهاصات التي سبقت رحيل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأثر ذلك على العامة والصحابة وعلى ابنته رضوان الله عليهم أجمعين، ليقدم بتحليل - غير مسبوق ربما - صورة جديدة غير الذي دأب الفكر الإسلامي على طرحها وبثها بشكل يكاد يكون محفوظًا من كثرة استهلاكه.

وفي الاقتتال الحادث بين المتصوفة والسلف حول الحياة البرزخية لرسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم -، يتناولها الكتاب منتصرًا جانب السلف بشيء من الحياد العلمي.

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيٌ في قلوبنا بدراسة المحبة والفداء بين من أحبه من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وبين آخر وأصغر مسلم تظاهر دفاعًا عن سيده ونبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويفتديه بنفسه وروحه وبأمه وأبيه.

إذن فهذا الكتاب يحتاج قراءة جادة بالقلب والعقل معًا وليس بالعاطفة وحدها؛ فربما تصور متصور من قراءة العنوان أنه كتاب تقليدي لايحتاج أكثر من قراءة عابرة ثم يصلي ويسلم على سيد الخلق أجمعين ثم يمضي إلى نومه أو عمله أو صلاته..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الخلق أجمعين.

السيد إبراهيم أحمد

في قلوبنا

بل الرفيق الأعلى

اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى ، والمسلمون قد هالهم وقع الخبر فتلقوه بين مصدق له ومكذب، فالجزيرة وإن خلت من الشرك إلا أن الدولة الإسلامية مازالت فى أول عهدها، والإسلام لم يخرج من حدودها ليملأ آفاق الأرض، وهم قد تعودوا مقامه بينهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولم تحدثهم أنفسهم آنفًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيغادرهم يومًا، برغم أن خطبته فيهم بعد ظهرالأربعاء السابق على وفاته بخمسة أيام قد أعلن فيها نبأ رحيله عن الدنيا، فقال صلى الله عليه وسلم: **''إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده''**. فلم يستقبل الرسالة إلا صديقه الصديق أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ، فقد كان أفقه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وأعلمهم بمرامي كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفحواه، فلم يفهموها إلا بظاهرها بأنها بشرى لرسولهم بزهرة الدنيا حتى أنهم تعجبوا من بكاء الصديق الذي أحسن تأويلها فبكى، فقد قال أبو سعيد الخدري: "فبكى أبو بكر. قال : فديناك بأبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخبر وكان أبو بكر أعلمنا"(١).

ولهذا استهول الفاروق وقع الصدمة بفراق الحبيب فهب مزمجرًا متوعدًا كل من تسول له نفسه ترديد مثل هذه الأراجيف قائلاً :"إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفى، وإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات".

أما علي بن أبى طالب فقد أقعدته الصدمة فلم يعرف ماذا يفعل أو يقول، ولم يكن حال عثمان بن عفان أحسن حالاً من علي فقد ترك نفسه كالطفل الذى يؤخذ بيمينه حيثما وجهته توجه فلا تعرف من ملامحهما أصدَّقا النبأ أم كذباه.

ولم يكن الصديق رابط الجأش إلا أمام الناس، أما أمام وجه الرسول فيبكى البكاء الثخين، فقد أقبل ـ رضى الله عنه ـ على فرسه من مسكنه حين علم بالخبر فنزل ودخل إلى المسجد دون أن يكلم أحدًا، ثم دخل على عائشة ابنته فتيمم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهو مغشى بثوب

حَيرَة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه، فقبله وبكى، ثم قال: "بأبي أنت وأمي، لايجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقد مِتَّهَا". ولم يلبث أن خرج ولا زال عمر على حاله يكلم الناس دَهِشًا مذهولاً، فخاطبه أبو بكر: "اجلس يا عمر"، فأبى عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: "أما بعد، من كان منكم يعبد محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** (١٤٤) **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾ (٢). إن الله عَمَّرَ محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد في سبيل الله ثم توفاه الله على ذلك، وقد تركتكم على الطريقة فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء؛ فمن كان الله ربه فان الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا ويُنزله إلهًا فقد هلك إلهه؛ فاتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فان دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومُعزٍ دينه، وأن كتاب الله بين أظهرنا، وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فلا يبغينَّ أحد إلا على نفسه" ...ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : "فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ، وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم، وقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرتُ - أي: تحيرتُ ودهشتُ- حتى وقعتُ إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد مات".

وقال ابن عباس : "والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها".

وواقع الأمر أن ما يُحْسَب لأبي بكرٍ الصديق هو حسن استهلاله واستشهاده بالآيات البينات القاطعات بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس إلا بشر من البشر وإن اصطفاه الله نبيًا تجري عليه مشيئته كما جرت على من سبقوه من الأنبياء ومن البشر الذين ماتوا قبله والبشر الذين سيموتون بعده، وأن رسول الله الأحبُ لله منكم كتب عليه الموت حبًا وحكمًا، ليرد المسلمين إلى إيمانهم الصادق الخالص بالله ورسالته التى بلغها لهم نبيهم، ليكون إيمانهم المطلق بالله الباقي الحى الذى لايموت سبحانه، ومن ثم ينفي الخلود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما جاءت آيات القرآن وهو كلام الله بذلك، لتعود لنبينا محمدٍ بشريته التى أكد عليها القرآن الكريم وأكد عليها مرارًا وأبدًا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لينفي حتى بموته أى محاولة ترفعه عن هذا، وهنا تتجلَّى روعة الإسلام الَّذي رقى أتباعه من التعلُّق بشخص الرسول إلى التعلُّق بالمرسِل ومصدر الرسالة، فكانت صلتهم بالله تعالى صلة وثيقة يتطلَّعون إليها، وعروة وثقى عقدها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهم وبين خالقهم فتمسَّكوا بها. هكذا استطاع الصديق أن يهدأ النفوس المروَّعة الملتاعة وأولهم عمر، ولو لم يفعل غيرالذي فعل لربما كانت تلك اللحظة لحظة فارقة فى تاريخ الإسلام والمسلمين.

ولهذا قال القرطبي: "هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجراءة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنهم عم، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأم، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنح (٣) .

ناقش العقاد (٤) أثر وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تباين ردود أفعال الفاروق والصديق ـ رضي الله عنهما ـ فقال : (فى حياة الصاحبيْن موقف من المواقف النادرة التى يظهر فيها الرجل كله، ولايتفق فى التجارب النفسية أن يواجهها الإنسان مرتين فى حياته، وهو الموقف

الذى فاجأهما بموت النبى عليه السلام. ليس للصاحبيْن غير صديق واحد بمنزلة محمد عندهما من المحبة والتجلة، وهما لايروّعان كل يوم بنبأ فاجع يسوءهما كما يسوءهما نبأ موته وانقضاء عشرته والأنس بقربه. فالموقف نادر، والبلية به خليقة أن تبتلي الرجل فى كل ما ينطوي عليه من بديهة وروية .. وابتلى به عمر فغضب غضبته المرهوبة وصار بالنعاة يتوعدهم ليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن محمدًا قد مات. غضب غضبة الرجل المملوء بقوته وحميته،الذى لم ينبهه منبه قط إلى ترويض غضبه والمبالاة بعواقب ثورته، وكأنما قام فى دخيلة نفسه أنه يستكثر حتى على الموت أن يجترىء على الصديق الذى يحبه ذلك الحب، ويجله تلك التجلة، ويعتقد فيه تلك العقيدة، وينتظر حتى من الموت أن يتحامى جانب ذلك الصديق، ويرعى له حرمة لايرعاها لسائر الأحياء.

وأبو بكر يحب محمدًا كما يحبه عمر، ويأسى لفراقه كما يأسى ، ويرفعه مثله درجات فوق مقام الأحياء من قبله ومن بعده، ولكنه رجل راضَ نفسه وقمع حدة طبعه ، وعرف الصبرعلى ليس مايدفعه دافع ولاتغنى فيه حيلة، فإن كان تسليم فهذا أحق المواقف بالتسليم وأولاها بطول ما ارتاض عليه من صبر، وما تأهب له من أسوة. بذلك أدى كل من الرجلين ضريبة طبعه ومزاجه الذى لامعدى له عن مطاوعته والاستجابة لدواعيه. ثم زالت الغاشية الأولى. فظهر الرجلان فى حالة القرار كما ظهرا فى حالة المفاجأة: ظهر أن عمر لم يكن كله ثورة، بل كان فيه إلى جانب الثورة روية تفرغ للأمر فى أحرج أوقاته، وظهر أن أبا بكر لم يكن روية كله، بل كانت فيه إلى جانب الروية مطاوعة لسليقة الحب والألفة قد تشغله عن العواقب إلى حين).

يعلق ديدات (٥) على ردود أفعال الصحابة وعدم استجابتهم لحدث وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلاً: (إن أعظم موقف يدل على عظمة الرجال الذين صنعهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته هو موقفهم عند موته. لم يصدق أحد من الصحابة أن رسول الله قد مات. كيف ذلك؟ وهل ينقطع النور الواصل من السماء والأرض عن طريقه؟ وماذا سيفعل المسلمون من بعده؟).

لم تكن مكة عن أهوال الحدث ببعيد إذ أفقد وقع الصدمة عليهم بعضهم ففعل ما فعل عمر وظنوها فرية منافق، او قول حاقد غير أن "سهيل بن

عمرو" كان لها كأبى بكر الصديق فوأد الفتنة فى وقتها فقام على باب الكعبة وصاح بالناس فاجتمعوا إليه فكان مما قال : كنت أعلم أن هذا الدين سيمتد من طلوع الشمس إلى غروبها. فقالوا له: ومن أين علمت؟ قال : "إني رأيتُ رجلاً وحيدًا لا مال له ولا عز - يقصد النبي صلى الله عليه وسلم - قام في ظل هذا البيت فقال : إني رسول الله، وإني سأظهر، فكنا بين ضاحك وهازل وراجم ومستجهل، فما زال أمره ينمى ويصعد حتى دِنّا له طوعًا وكرهًا، والله لو كان من عند غير الله لكان كالكسرة في أيدي أي فتى من فتيان قريش".

نعم كان وقع المفاجأة على نفوس المؤمنين قويًا عظيمًا، فلا تزال ذاكرتهم تعي وتحفظ خطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى رددت سماء مكة صداها فى الأفق حتى وعتها جبالها ورمالها وكل الصحابة المائة والأربعة وأربعون ألف الذين وطئوا تلك الرمال وحجوا معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجته الأخيرة فى السنة العاشرة من الهجرة ، وكان من رحمة رسول الله بهم أن سرب نبأ رحيله تلميحًا فى خطبته كى لاينزعجوا عند وقوعه، وكانت من معجزاته فأنه لم يلقهم بعد عامهم هذا حيث قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **''أيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلَّغْتُ. فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ؛ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مَوْضُوعٌ وَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ، قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لا رِبًا وَإِنَّ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ بَنُو هُذَيْلٍ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ** سورة التوبة آية ٣٧ **وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** سورة التوبة آية ٣٦ **ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ . أَمَّا بَعْدُ ،**

أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ؛ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَلا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنِ انْتَهَيْنَ ؛ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ لا يَمْلِكْنَ لأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاسْمَعُوا قَوْلِي؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ ، وَتَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ. أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ وَاعْقِلُوهُ؛ تَعْلَمُنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إِلا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، فَلا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟''، قَالَ: فَذُكِرَ أَنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ:''اللَّهُمَّ اشْهَدْ ''.

لم يزل المسلمون يتذكرون بكاء عمر عندما أُنزل على النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ت في يوم عرفة يوم الجمعة قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ (٦). فقيل له: ما يبكيك؟ قال: "أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص' وكأنه رضي الله عنه توقع موت النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قريبًا".

كما روى ابن أبي شيبة عن هارون بن أبي وكيع عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾، قال: يوم الحج الاكبر، قال: فبكى عمر، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **''ما يبكيك؟''**، قال: يا رسول الله ! أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فإما إذا كمُل فإنه لم يكملْ قط شيءٍ إلا نقص، قال: **''صدقت''**.

قال جابر رضي الله عنه: رأيتُ النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: **"لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلّي لا أحُجُّ بعد حجتي هذه"**(٧). وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: "وقف النبي صلّى الله عليه وسلّم يوم النحر بين الجمرات... وقال: **"هذا يوم الحج الأكبر"** وطَفِق النبي يقول: **"اللهم اشهد"** وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع (٨).

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع ثلاث خطب: خطبة يوم عرفة، والخطبة الثانية يوم النحر في منى، والخطبة الثالثة في منى يوم الثاني عشر من ذي الحجة.لم تزل تضمخ آذانهم ...

ولئن سرى فى بعضهم الإحساس بدنو رحيل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا إنهم لم يكونوا يتوقعون حدوث هذا سريعًا، فبين حجة الوداع ووفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس إلا ثلاثة أشهر، لا تعطى إحساسًا صادقًا لمتوقع بقرب النهاية، ولهذا حتى عمر الذى سمع الآية ذاتها بل وسمع سورة النصر كذلك وعلم تفسيرها الصحيح هو وبعض من الصحابة المقربين من عمر ـ رضي الله عنه وأرضاهم ـ من ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إلا أن أنهمً كانوا فى خبيئة نفوسهم مستبعدين سرعة تحقيقه، لإنهم فهموا من التفسيرأن هذا وإن كان لابد حادث لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنهم لم يفترضوا له زمن ولم يتمنون ـ لحبهم لرسول الله ـ حدوثه أبدا .. كما أن الصحابة أخذوا يفسرون آيات السورة تفسيرًا ظاهريًا، فقد كان الفرح والبشر والثقة تشيع فى الزمان والمكان تملأ النفوس حيوية وانبهارا. فقد كان الصحابة كما يقول خالد محمد خالد (٩): (لم يكونوا يعلمون أن الرسول نُعى إلى نفسه .. فحتى الذين تليت عليهم سورة النصر، لم يفهموا منها مافهمه أبو بكر، وعمر، والعباس ـ رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين ـ .. لم يكونوا يدرون إلا أنهم فى مهرجان عظيم، يحتفلون فيه بانتهاء مناسك الحج كما ينعمون بنصر الله وفضله).

فقد روى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي ...عن ابن عمر قال:"نزلت هذه السورة ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ في أوسط أيام التشريق فعرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم ذكر خطبته في ذلك اليوم (١٠).

ـ حدثنا ابن بشار قال : حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جُبيرعن ابن عباس،أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألهم عن قول الله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: فأنت يا بن عباس ما تقول: قلت: مَثَلٌ ضُرِّبَ لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نُعِيتْ إليه نفسه.

ـ حدثنا ابن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفرقال: حدثنا شعبةعن أبي بشر عن سعيد بن جُبيرعن ابن عباس،أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُدنيه، فقال له عبد الرحمن: إن لنا أبناءً مثلّه، فقال عمر: إنه من حيث تعلم، قال: فسأله عمرعن قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة، فقال ابن عباس: أجله، أعلمه الله إياه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم.

ـ حدثنا ابن حُميد قال: حدثنا مهران عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس، قال: قال عمر رضي الله عنه : ما هي؟ يعني﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قال ابن عباس: إذَا جاءَ نَصرُ اللّهِ حتى بلغ: وَاسْتغْفِرْهُ إنك ميت إنّهُ كانَ تَوّابا فقال عمر: ما نعلم منها إلا ما قلت.

ـ قال: ثنا مهران عن سفيان عن عاصم، عن أبي رزين عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، علم النبيّ أنه نُعِيتْ إليه نفسه، فقيل له: إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة.

ـ حدثنا أبو كرَيب وابن وكيع قالا: حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جُبير،عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :''نُعِيَتْ إليّ نَفْسِي، كأنّي مَقْبُوضٌ فِي تِلكَ السّنَةِ''.

ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، في قوله : ﴿إِذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ، قال: ذاك حين نَعَى له نفسه يقول: إذا رأيْتَ النّاسَ يَدْخُلونَ فِي دِينِ اللّهِ أفْوَاجا يعني إسلام الناس، يقول: فذاك حين حضر أجلُك فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّابا.

نعم بكى عمر وهو يسمع آية الإكمال والإتمام وأحس بفراسته دنو أجل الرسول فلماذا لما تحقق نسيً؟، يقول الشيخ ناصر الدين الدمشقى (١١) :

(نظر عمر إلى سنة الله تعالى من نقص الشيء بعد كمال إزدياده ، وعلم أن نقصان الدين هو موت خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فبكى لذلك وازداد نحيبا، ووقع ما علمه عمر قريبا، لكنه خفى عليه لما وقع بعد أيام، لينفرد الصديق بالتصديق قائماً ذلك المقام).

بوادر رحيـــل الرسول صلى الله عليه وسلم
بين العامة والخاصة

أن المتأمل لسير الأحداث يرى أن علم عمر بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاءت به الآيات هو العلم العام بأن نهاية الرسول حتماً الموت لأنها نهاية كل حي ،وهو كذلك علم العامة من صحابة رسول الله التى أحست بقرب الوفاة على وجه الإجمال من إستقراء شواهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله مثل: عرض جبريل القرآن عليه صلى الله عليه وسلم مرتين وكان يعرضه فى كل عام مرة كما أسر بذلك لإبنته فاطمة فقالت : **''فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أراني إلا قد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك''.**

وكذلك توديعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأحياء والأموات: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلما كان ليلتها يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: **"السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد"**.[البقيع هو مدفن أهل المدينة]. وفي رواية أنه قال ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: **"فإن جبريل أتاني.. فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم"** قالت عائشة : يا رسول الله، كيف أقول لهم ؟ قال : **" قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون "**(١٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خرج يوماً فصلى على قتلى أُحد صلاة الميت بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع علي المنبر، فقال: **''إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا''**، قَالَ عُقْبَةُ: وَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ (١٣).

وربما عزز حدسهم فى أن مايفعله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو ولاشك الوداع هو صلاته ـ صلى الله عليه وسلم على شهداء مضى

على موتهم قرابة الثماني سنوات، وشهداء المعارك لايُصلى عليهم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.يقول ابن حجر (١٤) تعليقًا على هذه الصلاة التى وردت بالحديث : "أما هذا الحديث فكأنه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعًا لهم بذلك، كما ودع أهل البقيع بالاستغفار لهم".

أما أبو بكر فقد علم بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشيك الوفاة بالعلم الخاص، لأن عبارات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تدل على أن الأمر عُرِضَ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واختار كما جاء فى خطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **''إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختارما عنده''.**

وما يؤيد أنها علم الخاصة أن العامة من الصحابة أكابرهم وأصاغرهم غُمت عليهم وفهموا من مراد رسول الله أن الله إنما عرض عليه الدنيا فاستبعدوا فكرة موته ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بل لاموا الصديق حين بكى ـ رضى الله عنه وعنهم أجمعين ـ ، وأصبح أبو بكرٍ وحده هو المُصدِّق بوفاة الرسول الوشيكة دونهم، وهذا ليكون أبا بكرٍ أول من صدق برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ابتعثه الله رسولاً، وليكون أول من صدَّق وفهم مقالة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيقن بدنو أجله، لتتحقق بذلك مقولة: " لينفرد الصديق بالتصديق قائماً ذلك المقام".

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: **''عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ''**.فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **''إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَىَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ لاَ تُبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ''**(١٥).

و ربما الذى أعان الصديق على فهم مقالة رسول الله ـ غير أنه كان يفهم مرامى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ـ هو ما كانت تعلمه بضعته وابنته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ولعله سمعه منها من جملة العلوم التى فقهتها من زوجها رسول الله حين قالت عند موت الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم : "كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة [شديدة] يقول: **''مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا''** (١٦) قالت فظننته خير حينئذ(١٧).

ولئن سأل سائل ألم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم لعمر وبأنه محدث كما جاء فى الحديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **''لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر''** (١٨)

فهذا الحديث كما جاء فى فتح الباري شرح النووي (١٩) : تضمن منقبة عظيمة للفاروق رضي الله عنه وقد اختلف العلماء في المراد بالمحدَّث. فقيل: المراد بالمحدث: الملهم. وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلم أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة.. بمعنى أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلماً في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام. وفسره بعضهم بالتفرس ، فقد قال ابن حجر (٢٠): "والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ووقع له بعد النبي صلى الله عليه وسلم عدة إصابات .وكون عمر ـ رضي الله عنه ـ اختص بهذه المكرمة العظيمة وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا تدل على أنه أفضل من الصديق ـ رضي الله عنه ـ".

فقد قال ابن تيمية رحمه الله (٢١): "وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أبابكر أعلم الأمة بالباطن والظاهر، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد".

> ولقد قال ابن القيم: (٢٢) : "ولا تظن أن تخصيص عمر ـ رضي الله عنه ت بهذا تفضيل له على أبي بكر الصديق بل هذا من أقوى مناقب الصديق فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدي الرسالة استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره، فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من التحديث فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير".

كما قال(٢٣): "فإن اختلف أبوبكر وعمر، فالصواب مع أبي بكر، وهذه جملة لا يعرف تفصيلها إلا من له خبرة واطلاع على ما اختلف فيه الصحابة وعلى الراجح من أقوالهم" .

وقد يتساءل أحدهم متعجبًا: وهل غُم على ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة ـ رضى الله عنها ـ أيضًا ليتحقق للصديق الفوز بهذا المقام؟! وكيف و الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى أسَّرَ إليها ثانية بعد حزنها على فراقه لما أخبرها بخبرعرض القرآن عليه مرتين فى العرضة الأخيرة من جبريل مما يعنى رحيله، وبأنها ستكون أول أهله لحوقًا به فَسُرتْ بذلك حيث قالت : فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال : **"يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة"**؟ قالت : فضحكت ضحكي الذي رأيت" (٢٤) وفي رواية: " فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت"(٢٥)؟!

ثم يستتبع التساؤل الأول تساؤلاً آخر: مع علمها اليقيني بوفاة والدها وأنها فرحت بلحوقها به، فلماذا فعلت ما فعلت عند علمها بوفاته وبعد دفنه صلى الله عليه وسلم؟!

وقبل الجواب نود أن نُقِرْهنا بمقصودنا بمفاهيم العامة والخاصة وخاصة الخاصة : بأنه يفارق ويزايل ذلك المعنى المتصور الذى أورده الإمام أبي حامد الغزالي فى حديثه عن درجات الصوم الواردة فى الفصل الثانى من كتاب أسرار الصوم من موسوعته إحياء علوم الدين (٢٦)، ويأتى أقرب فى التصور تقسيم العلماء الرحمة المحمدية إلى عامة وخاصة؛ حين عرَّفوا الرحمة العامة : "بأنها التى تشمل سائر الخلائق ويدخل تحتها رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان"، وعرَّفوا الرحمة الخاصة : "بأنها الرحمة الخاصة بأمته صلى الله عليه وسلم".

وأنما ماقصدتُ إليه من هذه المفاهيم من حيث قرب علاقة صاحب الحدث بالرسول ـ صلى الله عليه وسلمـ القلبية، والمكانية حيث مكان الحدث، فحديث عمر كان فى الحج ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخاطب الأمة فالعمومية هنا متوفرةٌ جدًا، أما فى موقف الصديق فكان الخطاب فى مسجد الرسول والحُضُور من المسلمين ـ بداهةً ـ أقل،

فالخصوصية متوفرةٌ جدًا، أما من حيث العلاقة القلبية فعامة المسلمين عامتهم قبل خاصتهم يعلمون موقع أبا بكر من قلب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأحاديث فى هذا الباب كثيرة نورد منها ما يلى:

عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **''لاتؤذوني في صاحبي، فإن الله عز وجل بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، ولو أن الله سماه صاحبا لاتخذته صاحبا ولاتخذته خليلا ولكن أخوة لله ، ألا! فسدوا كل خوخة إلا خوخة ابن أبي قحافة''**.

عن أبي الدرداء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **''يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَمْشِي أَمَامَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَلا غَرَبَتْ، عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ''**.

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **''أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي''**، وفِي حَدِيثِ التَّمِيمِيِّ: **''فَأَرَانِي الْبَابَ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ''**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ودِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **''أَمَّا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي''**(٢٧).

وحتى لانغمط الفاروق حقه ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نورد الحديث الذى رواه الخليفة الرابع علي رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **''أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ''**(٢٨).

حديث خاصة الخاصة

نعود لما كنا قد بدأناه قبل هذا الاستطراد من التساؤل هل غُم على ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها مع علمها اليقيني بوفاة والدها وأنها فرحت بلحوقها به؟ إذن فلماذا فعلت ما فعلت عند علمها بوفاته وبعد دفنه صلى الله عليه وسلم؟!

لم يكن حديث السيدة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حيث كونها سيدة نساء العالمين مع سيد الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين والبشر أجمعين، ولكنه كان حديث الابنة الوحيدة والأب الموَدِع فى مرضه الأخير؛ فهو إذن حديث خاصة الخاصة حيث الحديث بينهما فى أعلى درجات السرية والكتمان حتى عن أقرب المقربين ولو أزواجه وإن كانت عائشة أول من سألت وامتنعت عن إجابتها فاطمة فى حياته ثم أفشت لها السر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فالحديث عائلى بالدرجة الأولى والأب المُغادر لايُصرح تلويحًا أوكناية عن رحيله بل يصارحها بأنه لامحالة ميت كما أنها لامحالة ستموت بعده ... إنها فاطمة إبنته الحبيبة التى بشرها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى مرض الموت بأنها ستكون أول أهل بيته الكريم لحوقًا به فتضحك، بعدما كانت قبلها تبكي عندما أعلمها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحضور أجله حتى تعجبت السيدة عائشة وقالت: "مارأيتُ كاليوم فرحًا أقرب من حزن!" ... هل يستطيع أب أن يَزُف هذه البشارة لابنته الشابة البالغة من العمر ثمانٍ وعشرين سنة ولها من الذرية الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وهم صغار..من سيرعاهم بعدها؟! يبشرها والدها وتفرح ولم تجفل ولم تجزع ولم تراجعه وتستعطفه بأن يدعو لها بطول العمر حتى تربى أفراخها الزغب، وتسعد أيامًا بالعيش مع صنو روحها زوجها الحبيب علي ـ رضى الله عنه ـ ألا يذَكِّرُنا هذا الموقف بأبي الأنبياء إبراهيم وابنه الذبيح سيدنا إسماعيل ـ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ نفس الرضا والتسليم مع الفارق فى سيرالآحداث.

فاطمة الزهراء سيدتُنا سيدة هذه الأمة أو سيدة نساء العالمين، ابنة رسول الله وحبيبته التى أقسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أتاه حِبَهُ وحبيبه وابن حبيبه أسامة بن زيد مستشفعًا للمرأة المخزومية السارقة حتى لايقيم عليها حد السرقة ، فغضب من أسامة ثم جمع الناس ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخطب فيهم فقال : **’’يأيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم**

انهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمدٍ يدها "، والشاهد من العظمة ماقد لايلحظه أحدنا على إعتبار أنها- أى فاطمة – لن تسرق، ولكن يجب أن تعلم أن الخطاب كان على الملأ، ويجب علينا أن نثق تمام الثقة لو أن ابنته فعلتها لأبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقسمه.

ولئن تعجبنا كيف أن الابنة لم يروّعِها النبأ بل سُرّت به فيما يمكن أن نسمي علاقة البنوة بالأبوة المتشابكة بين الزهراء وأبيها بأنها معجزة تُضاف لسيد الخلق حين نجح فى أن يُهذب ويؤدب ابنته إلى هذا الحد الفائق من الطاعة حين لم ترد عليه مقالته، بل وجعلت نعيها بشارة فلم تغتم ولكن سُرّت؛ ليس زهدًا في الحياة ولكن فرحًا بالمرافقة والمجاورة لأبيها فى رحلته الأخيرة عن الدنيا.

كما لم يكن هذا أنانية منها بترك زوجها وصغارها فقد أوصت بهم لمن بعدها ـ كما سيأتى ذكره ـ، وغالبًا ما كانت تعرف من نبوات أبيها بأن ولديها لن يُعمرا طويلاً، وكان من رحمة والدها بها ـ ربما ـ أن لايُذيقها نار فراقهما فى حياتها كما تجرعها هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أولاده وأخوتها وآخرهم إبراهيم آخر أبنائه من السيدة ماريا ـ رضى الله عنهم جميعًا ـ ؛ فكم هو مؤلم على النفس والقلب فراق الأولاد فى حياة والديهم.

فلماذا فعلت ما فعلت بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعانت ماعانت من ألم الفاجعة وشدة المصيبة، وعظم النازلة بفقده ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى قالت عندما جاءها نبأ وفاته : "ياأبتاه.. أجاب ربًا دعاه، ياأبتاه.. مَنْ جنة الفردوس مأواه، ياأبتاه.. إلى جبريل ننعاه". وحين قالت لأنس بعد دفن الرسول صلى الله عليه وسلم : "ياأنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب".

وعندما أخذت ترثي أباها قائلة :

أغبر آفاق السماء فكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
الأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفًاعليه كثيرة الأحزان
فليبكه شرق العباد وغربها ... وليبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطود الأشم وجوده ... والبيت والأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه ... صلى عليك منزل القرآن

وعندما قامت ترثى أباها عند قبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن أخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها فبكت وأنشأت تقول :

ما ضر من قد شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليـــا
صُبَّتْ عليَّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

كيف لفاطمة ألا تفعل ما فعلت حتى لو علمت بأنها ستلحق بأبيها بعد دقائق معدودات؟! ولكن الأهم عندها أنه سيموت قبلها ولو بدقيقة، أن علاقة فاطمة بأبيها علاقة خاصة من حق المتعجب أن يتعجب لأنه يجهلها وإذا علمها دون أن يتعمقها ويُعايشها ويتعايش معها فما أحسها ولا علمها مادام لم يعاين وقائعها وأحداثها منذ ولادة فاطمة ومعاصرتها أحداث الدعوة وفراق الأحبة من الأهل ثم هجرة أبيها للمدينة وبقائها فى مكة حتى استدعاها إليه .

فاطمة أصغر بنات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ كانت زينب الأولى، ثم رقية الثانية، ثم أم كلثوم الثالثة، ثم الزهراء الرابعة، وهي أطول أخوتها صحبة لأبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم تتركه منذ ميلادها حين كانت قريش تبني بيتها **أى** قبل بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخمس سنين وعمره آنذاك خمس وثلاثين سنة، ولطول صحبتها مزية لها كما أن لها ضريبتها القاسية التى دفعتها من سنوات عمرها وشبابها وصحتها فقد كانت بحق سيدة الصابرين التى تجرعت كوؤس الآحزان مترعات كأسًا كأسا؛ فقد مات أخويها القاسم وعبد الله ثم ماتت أمها ثم تتابعت الأحزان بوفاة أختيها: رقية يوم بدرفى العام الثامن من الهجرة وأم كلثوم فى العام التاسع من الهجرة، وآخرمن شيعت إبراهيم أصغرأخوتها من السيدة مارية، ثم عاشت لتشهد رحيل أعز وأعظم الناس قاطبةً الأب الحاني والبقية الباقية لها بعد موت الأم والأخوة والأخوات فزهدت فى الابتسام ولقاء الناس بعده إذ ليس بعده عندها إلا أن يحين دورها فى الرحيل لتلحق به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،فكانت بحق أم أبيها تلك الكُنية الفذة التى فازت بها دون بنات جنسها على الإطلاق وذلك لكونها عاشت مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد موت والدتها ترعى أموره وتشد أزره، كما كانت قريبةً منه أشد القُرب فى معظم أوقات حياته، فلم تغب عن بصره ـ ربما ـ إلا ساعات خروجه من الدا، فقد كانت ـ رضي الله عنها ـ شديدة التعلق والاهتمام به ـ حتى بعد زواجها ـ كما كانت تحدّثه بما

يُسلّي خاطره ويدخل الفرحة على قلبه برغم ما كانت تعانيه وتتحمله بثبات أهل الإيمان العميق.

إنها فاطمة .. التى قلما فارقت أباها؛ فمنذ طفولتها والدعوة مازالت فى بواكيرها كانت تخرج معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الحرم، وذات مرة بينما كان ساجدًا اذ أحاط به أناس من مشركي قريش وجاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور وقذفه على ظهر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يرفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأسه حتى تقدمت ابنته فأخذت السلى ودعت على من صنع ذلك بأبيها وعندئذ رفع المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأسه وقال: **''اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأ مِنْ قُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ أَوْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ''**..فخشع المشركون لدعائه وغضوا أبصارهم حتى انتهى من صلاته وانصرف الى بيته تصحبه ابنته فاطمة وما هي إلا أعوام قليلة وترى فاطمة ـ رضي الله عنها ـ هؤلاء الملأ قتلى في بدر .

وكانت هناك لماخرج صلى الله عليه و سلم يوماً إلى قريش وقد نزل قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فجعل ينادي : **''يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا''**، ثم اختص فاطمة من أولاده فخاطبها :**''ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا''**، تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن تعليقا على هذا الموقف : وخفق قلب فاطمة حناناً وتأثراً فهمست تقول : لبيك يا أحب والد وأكرم داع .. فقد كانت رضى الله عنها حتى الرمق الأخير من حياتها لاتمل من تلبيته وطاعته صلى الله عليه وسلم .

وهل غابت فاطمةعن أبويها في شعب أبي طالب حيث عاشت هناك في حصارأجهدها سنوات عديدة كما أنهك أمها السيدة خديجة، ثم عادت من الحصار إلى مكة لتشهد موت أمها رضي الله عنها، ثم هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وبقيت فاطمة مع أختها أم كلثوم في مكة حتى جاءها من عند النبي صلى الله عليه و سلم من يصحبها إلى المدينة المنورة .

كما خرجت السيدة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ لمداواة الجرحى وسقايتهم مع نساء المسلمين يوم أحد، ولما رأت رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ وقد انكسرت رباعيته وسال الدم على وجهه الشريف جرت عليه واعتنقته واخذت تمسح الدم من على وجهه الشريف ولما وجدته لا يتوقف حرقت حصيرًا ومنعت به الدم فامتنع وأخذ رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ يقول: **''اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله''** ثم مكث ساعة ثم قال :**''اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون''**(٢٩).

إنها الشبيهة الحبيبة والتى شاءت إرادة الله تعالى أن يمد فى عمرها ـ رضى الله عنها وأرضاها ـ ليكون منها ـ دون إخوتها ـ النسل المتصل برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى من أعظم المناسبات التى أدخلت فيها الزهراء الفرحة على أبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كان ينادي الحسن والحسين: يابني وكانا يدعوانه: يا أبت.

ولهذا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينهض إذا دخلت عليه فاطمة فيقوم بتقبيل رأسها ويدها، كما روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: "ما رأيتُ أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكانت إذا دخل عليها قامت إليه وأخذت بيده وقبلته وأجلسته في مجلسها"(٣٠) وكان لا ينام حتى يقبِّل عرض وجهها، وبين يديها، وكان يقول لها: **''فداك أبوك كما كنت فكوني''** (٣١) حتى أنه كلما قدم من سفر بدأ بالمسجد، فيصلى ركعتين، ثم يذهب لفاطمة، ثم يأتي بيوت أزواجه.

كما أنها لم تتركه فى أوقات مرضه الأخير فى بيت السيدة عائشة وحتى وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وأرضاها ـ .. ولهذا لم يطق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُعدَها عنه وكذلك لم تتحمل فاطمة بُعده عنها وذلك فى أول أيام زواجها من علي حين أسكنها بيت أمه وكانت دارها بعيدة عن بيت النبوة، كما جاء في رواية ابن سعد في الطبقات عن أبي جعفر لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلمJ المدينة نزل منزلاً فطلب علي منزله حتى يسكن فاطمة فيه، وبنى بها فى بيت أمه فاطمة بنت أسد وكان ذلك بعيدًا عن بيت رسول الله وكانت تتمنى أن تكون من السكن بقرب أبيها وسرعان ما تحقق أملها فقد جاءها النبى قائلاً : **''إني أريد أن أحَوِّلَك إليّ''**، فقالت لرسول الله : "فكلم حارثة بن النعمان أن يتحول ـ

ينتقل من منزله ـ وأكون إلى جوارك". وكان حارثة كلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول له حارثة عن منزل بعد منزل، حتى صارت منازل حارثة كلها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال رسول الله: **''يا بنية، قد تحول حارثة عنا حتى استحييتُ مما يتحول لنا عن منازله''**، فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي، فقال : "يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تحول فاطمة إليك وهذه منازلي وهى أسقب ـ أقرب ـ بيوت بني النجار بك وإنما أنا ومالي لله ولرسوله والله يا رسول الله للذي تأخذه مني أحبُّ إليّ من الذى تدع، فقال له الرسول: **''صدقت، بارك الله عليك''** فحولها رسول الله إلى بيت حارثة.

ذكر ابن حجر في الإصابة عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال :"كانت فاطمة أصغر بنات النبي - صلى الله عليه وسلم – وأحبهنَّ إليه، وسئلت عائشة ـ رضى الله عنها ـ ، كما روى الترمذي في سننه بسند حسنه ، قيل لعائشة : أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فاطمة قيل: فمن الرجال؟ قالت: زوجها إن كان كما علمت صوامًا قواما (٣٢).

هكذا كانت ـ رضى الله عنها ـ دائمًا فى كل المواقف معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الابنة الحبيبة الرفيقة الشفيقة المواسية وكيف لا وهى فرع الحنان المتدلي من شجرة الحنان الكثيفة الوريفة التى أظلت المسلمين ورسول الإسلام بحنوها وعطفها ومالها وجهادها حتى صار لها فى عنق كل مسلم دَيْن حتى قيام الساعة أنها فاطمة بنت خديجة ـ رضى الله عنهما وعن كل أمهات المؤمنين ـ.

أما ماينفي الأنانية عن السيدة فاطمة لفرحها بمغادرة الدنيا التي فيها الزوج والأولاد هو حديثها مع زوجها علي أحب الناس لقلبها بعد والديها الكريمين حيث رأت أن توصيه وتقبَّل منها وصاياها ونفذها بعد موتها وفاءً لها لأنه كان يعلم أن أمر وفاتها وحياتها ليس فى يد أبيها وإن كان رسولاً بل يقف موتها عند حد التبليغ من الرسول الكريم لابنته وغالبًا ما أوجعه وما كان ليبوح لها به إلا لما رأها تأذت وبكت حين سَّارها برحيله، كما أنها تعلم كما يعلم زوجها الذى نبأه الرسول سابقًا أنه شهيد؛ أنهم لم يجربوا الكذب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاهم ولاعامة المسلمين ومادام قال فقد صدق وما عليهما إلا التسليم بقضاء الله كما فعلا فعلاً، ونستشف هذا من الحوار الرقيق الدقيق الأخير عن الرحيل الأكيد

فتجد الكلام فى موضعه فهى توصي بحق لا لتستشف تعلق زوجها بها وحزنه عليها من عدمه، كما أنه لايجاملها أو يخفف عنها بأنها ستتعافى وسيشد الله أزرها ويمد فى عمرها مواساةً منه فإن عليًا يعلم أنه لو فعل هذا فإنما يرد كلام رسول الله ويُكَذِبه وحاشاه أن يفعل، ولهذا تعامل مع الموقف تعامل الرجل الحكيم .

وقد أوصت الزهراء ـ رضي الله عنها ـ زوجها علي بن أبي طالب بثلاث وصايا. فقالت: "يا بن عم، إنه قد نُعيتُ إلي نفسي، وإنني لا أرى حالي إلا لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. فقال رضى الله عنه: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت. فقالت رضي الله عنها :يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائفة، ولا خالفتك منذ عاشرتني . فقال رضي الله عنه : معاذ الله ! أنت أعلم بالله تعالى ، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفًا من الله تعالى، وقد عز علي مفارقتك وفقدك إلا أنه أمرٌ لابد منه، والله لقد جددت علي مصيبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجل فقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون... ثم أوصته رضى الله عنها بثلاث :

أولا:أن يتزوج بأمامة بنت العاص بن الربيع، وبنت أختها زينب رضي الله عنها.وفي اختيارها لأمامة رضي الله عنها قالت :أنها تكون لولدي مثلي في حنوتي ورؤومتي. وأمامة هي التي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحملها في الصلاة.

ثانيا : أن يتخذ لها نعشا وصفته له ، وكانت التي أشارت عليها بهذا النعش أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وذلك لشدة حياءها رضي الله عنها فقد استقبحت أن تحمل على الآلة الخشبية ويطرح عيها الثوب فيصفها، ووصفه أن يأتى بسرير ثم بجرائد تشد على قوائمه ، ثم يغطى بثوب ...

ثالثا :أن تدفن ليلا بالبقيع .

وقد روى الإمام أحمد كيفية وفاتها في حديث ضعفه أهل العلم عن أم رافع قالت :"اشتكت فاطمة شكواها الذي قبضت فيه، فكنت أمرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك، قالت: وخرج علي لبعض حاجته، فقالت: يا أمه اسكبي غسلا فسكبت لها غسلا، فاغتسلت كأحسن ما

رأيتها تغتسل، ثم قالت: يا أمة اعطني ثيابي الجديدة فأعطيتها فلبستها، ثم قالت: يا أمه قدمي لي فراشي وسط البيت ففعلت واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها، ثم قالت: "يا أمة إني مقبوضة الآن... وقد تطهرتُ فلا يكشفني أحد فقبضتْ مكانها، قالت: فجاء علي فأخبرته." وكذا روى ابن سعد في الطبقات :"أنها غسلت نفسها قبل أن تموت، ووصت أن لا يغسلها أحد لئلا ينكشف جسدها، وأن علياً دفنها دون غُسل، قال الذهبي عن هذا الكلام في السير: هذا منكر".

قال الزيلعي في نصب الراية :"واعلم أن الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي العلل المتناهية... وقال: هذا حديث لا يصح".

وضعفه ابن حزم في المحلي وقال ابن كثير: "غريب جدًا".... أما ابن الأثير فقال في أسد الغابة :"والصحيح أن عليًا وأسماء غسَّلاها".

وقد روى الشافعي والدار قطني وأبو نعيم والبيهقي وحسنه ابن حجر والشوكاني، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن فاطمة رضي الله عنها أوصت أن يغسلها علي ـ رضي الله عنه ـ، قال الشوكاني :"ولم يقع من سائر الصحابة إنكار على علي وأسماء، فكان إجماعًا .وأما إنكار ابن مسعود فلا يصح، وعلى هذا جمهور أهل العلم. وذهب الحنفية في الأصح و أحمد في رواية إلى عدم جواز ذلك لانقطاع الزوجية، والأول أصح، لأن الصحابة أفهم لدين الله عز وجل من غيرهم، وهذا الأثر الذي فيه وصية فاطمة يبطل ما قبله، فتعين الأخذ به". ولقد روى الإمام الذهبي قصة وفاتها في السيرعن أم جعفر : "أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس : إني أستقبح ما يُصنع بالنساء، يُطرح على المرأة الثوب فيصفها. قالت: يا ابنة رسول الله، ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنَتْها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله، إذا مت فغسليني أنت وعليّ، ولا يدخلن أحد عليَّ"... فكانت ـ رضى الله عنها ـ هي أول من غُطى نعشها في الإسلام على تلك الصفة كما قال ابن عبد البر... وأما أمرها أن لا يصلي عليها أبوبكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، ولا أن يتوليا دفنها، فهذا محض كذب وافتراء.

وهكذا فقد توفيت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية، والجهة المصطفوية، بنت سيد الخلق رسول الله ـ صلى

الله عليه وسلم ـ أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم الحسنين ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ بعد وفاة أبيها بستة أشهر فى ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة فدُفنَت ليلاً كما أوصت بعد أن صلى عليها علي بن أبى طالب ونزل فى قبرها ومعه العباس والفضل بن العباس ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ . قال ابن الأثير في أسد الغابة :"هذا أصح ما قيل". وقال الذهبي في السير : "وعاشت أربعًا أو خمسًاوعشرين سنة"، وأكثر ما قيل : إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة، والأول أصح .

والحق يشهد والواقع يقول بأن زهراء بيت النبوة ـ رضى الله عنها ـ لم تكن الوحيدة التى تمنت اللحاق بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بل وحب الدفن بدياره والموت بجواره ، فالدلائل تترى تحكى قصة الشوق للأنس بلقاءه هناك حيث الجنة وحسن المآب من أصحابه صلى الله عليه وسلم :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما حضرته الوفاة قال: "أي يوم هذا؟، قالوا : يوم الاثنين، قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فإن أحب الأيام و الليالي إليّ أقربها من رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ "(٣٣).

قال سعيد بن عبد العزيز: "عندما احتضر بلال ـ رضي الله عنه ـ قالت امرأته : واحزناه، فقال: بل واطرباه غدًا نلقى الأحبة محمدًا وصحبه" (٣٤).

وعن الوليد بن مسلم، عن عبدة بنت خالدبن معدان، قالت : "قلما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقَهُ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ؛ ثم يسميهم ويقول : هم أصْلي وفصْلي، وإليهم يحنُّ قلبي، طال شوقي إليهم، فعجِّلْ ربِّ قبضي إليك. حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك" (٣٥).

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :"بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ لِطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَقَالَ لِي : **''إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : كَيْفَ تَجِدُكَ؟''**، قَالَ : فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ ، وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً : مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقْرَأُ عَلَيْكَ

السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ:أَخْبِرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟، قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْكَ السَّلامُ، قُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِيَ الأَنْصَارِ: لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرِفُ، قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ"(٣٦).

روى البخاري عن عمرو بن ميمون أن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه- قال: "يا عبد الله ابن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- فقل: يقرأ عليك عمرالسلام. ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لستُ اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمربن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي حزنًا على أمير المؤمنين- رضي الله عنه-، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني، فأسنده رجلٌ إليه، فقال: ما لديك، قال: الذي تحبُ يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهمَ إليَّ من ذلك. فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم، فقل: يستأذنُ عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين".

شـــوق الأحبة للحبيب صلى الله عليه وسلم
ومراثيهم فيه

الحق يشهد والواقع يقول أن فاطمة لم تكن الوحيدة التى حزنت على فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما لم تكن وحدها التى رثته بشعرها المعبرعن فاجعتها فيه ، فقد رثته عماته ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفية وعاتكة وأروى، فأما من شارك فى رثائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أمكن الوصول إليه ـ ثلاثون شاعرًا ، ثلاثة عشر من قريش بينهم ثماني نساء، وخمسة من الأنصار، واثنا عشر من سائر القبائل العربية الأخرى. وذلك بحسب احصاء الدكتورمحمد أبو المجد على (٣٧).

وقد وقف شعراء كثيرون أمام قبرالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلما وقفت ابنته فاطمة ـ رضي الله عنهم ـ ومن لم يقف منهم تمنى الوقوف وأرسل أمنيته فى قصيدته سواء من المتقدمين أو المتأخرين، فهذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملتمسًا لفاطمة العذر فى وقوفها على قبرأبيها وبكائها الثخين عليه فيخاطبها قائلاً :

أفاطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعي فهوالسبيل
فعودى بالعزاء فإن فيه ثواب الله والفضلُ الجزيلُ
وقولى فى أبيك ولاتملى وهل يجزى بفعل أبيك قيلُ
فقبر أبيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

أما شاعرالرسول حسان بن ثابت فيقول فى مرثيته الطويلة مخاطبًا القبرالشريف :

فبوركت يا قبرالرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد

كما قال أبو العتاهية راثيًا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

سلامٌ على قبر النبى محمدٍ نبى الهدى والمصطفى والمؤيدِ
نبيٌ هدانا اللهُ بعدَ ضلالةٍ به لم نكن لولا هداهُ لنهتدى

فكان رسولُ اللهِ مِفتاحَ رحمةٍ من اللهِ أهداها لكل موحدِ
وكان رسولُ اللهِ أفضل من مشى على الأرض إلا أنه لم يُخلَدِ
شهدتُ على أن لانبوةً بعدهُ وأن ليس حىٌ بعده بمخلدِ

يعلق الدكتور محمود على مكى (٣٨) على مرثية أبى العتاهية فيقول : (ولأبى العتاهية مراثٍ للرسول صلى الله عليه وسلم، تبدو لنا شيئاً فريدًا فى عصره، ولرثاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد مضي نحو قرنين من الزمان على وفاته دلالة خاصة، لأننا نرى الشاعر فيها يستحضر شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما لو كان قد مات لتوه، ونحسُ فى هذه المراثى حبًا وإخلاصًا بعيدين عن التكلف).

كما يهفو لقبرالرسول فى عصرنا قلب الشاعرالطبيب حسن ابراهيم فيقول وهو يقف أمام القبر الشريف على صاحبه الصلاة والسلام : (٣٩)

مشيتُ وفى قلبى وجيبٍ ورهبةٍ إلى خير قبرٍ ضمَ خيرَ رُفاتِ
وهادىّ حبى محو مثوى محمدٍ عليه لعمرى أطيب الصلواتِ

تعلقت قلوب المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قبره فأحبوا زيارته وسعوا لها ومن لم يسعه السعى أطلق الزفرات المشتاقة الحارة أبيات شعرية أرسلها مع نسمات الأيام العطرات فى ذكرى وفاته ومولده ومع من شرفه الله بالحج والعمرة وزيارة مسجد ساكن القبرالشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحمل التحيات المعطرات بشوق المثول مثلما حمل الدكتورعائض القرنى صديقه هذه التحية (٤٠):

أريج الصبا هل جئت من منبع الرند لعل الشذا يسليك من وحشة البعد
إذا غردت في القاع يوماً حمامة أثارت شجوني فالدموع على الخد
وما ذاك من ذكر الأحبة والهوى ولكنه في القلب أسمى من الوجد
فحي القبور الماثلات تحية وضع قبلة ياصاح منك على اللحد
على خير من مس الثرى بعبيره وأكرم ميت في الورى لف في برد
أبي قاسم كم شيد الله ذكره نبي وما فوق النبوة من مجد

تحية من قد أشغف الحب قلبه وخير سلام من سميع الدعا أهدي

عليه صلاة الله ما أزهر الضحى ولم يعتلق من حب هند ولا دعد

مراثي الشيعة والسنة والمتصوفة

فى الرسول صلى الله عليه وسلم

إن من يطالع القصائد الحارة فى مراثي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كافة المسلمين على اختلاف عصورهم ومشاربهم، سيتكشف له أن قصائد الشيعة غالبًا ما يكون مفتتحها مدح أو رثاء الرسول بينما غايتها الكامنة هى مديح أو رثاء آل البيت والمعصومين من أئمتهم، يشهد بهذا الدكتور محمود على مكي (٤١) حيث يقول : (على أن ما نلاحظه على شعر السيد الحميري، وغيره من شعراء الشيعة، أن تناولهم لجوانب من سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن مقصودًا لذاته، بل هو موظّف لخدمة عقائدهم فى آل البيت، فهو مجرد منطلق لهم لكي يبسطوا قضيتهم وحججهم لأحقية أئمة آل البيت فى الخلافة) .

ذلك في الوقت الذي يتجرد فيه أهل السنة من هذا النزق؛ فمبتدأ رثائهم ومدحهم وخاتمته هو خالص محبتهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وإن بدت قصائدهم ـ للوهلة الأولى ـ أقل لوعة وحرقة واشتياقًا لأنها تقوم على العقل أو مايسمى الرشدنة، بينما يفتقد الصوفية هذا الرشد فتبدو قصائدهم أكثر حرارة وموجدة لأن محبتهم دعائمها العاطفة المحمومة غير الرشيدة التى تستمد سخونتها من الأحاديث الضعيفة والموضوعات والقصص الموضوعة المدسوسة على سيرة رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ومع هذا فلا يستطيع منصف إلا أن يشهد بأن المتصوفة خالفوا الشيعة من حيث كون مدحهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومراثيهم فيه إنما غايته حب الرسول ذاته دون أن يخلطوا به حبهم لمشايخهم وأقطابهم وأبدالهم، وهي نظرة تتفق مع أهل السنة حينًا ثم لاتلبث أن تفارقها حين تتبنى مفهوم أزلية الوجود المحمدي وأن هذا الوجود أول شيء خلقه الله وأن كل موجود يستمد منه، فهو مبدأ الوجود والحياة وأن نوره تجسم في صورة آدم وصور الأنبياء من بعده. وهو يتجسم بعد الرسول فى صور الأولياء من أقطاب الصوفية الذين يصلون منه إلى مرحلة الذوبان بما يسمى بالفناء الكلي فى الذات العلية، لتجد أنهم ماكادوا يلامسون أهل السنة حتى يميلوا كل الميل تجاه الشيعة فيتجاوز ـ كما قلنا سابقًا ـ حبهم لمشايخهم وأقطابهم حبهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا عندهم أصل الأصول للقربى والوصول فيسبحوا بعيدًا بعيدًاعن مرفأ النهج النبوي القويم وإن ظنوا المثول.

يقول الدكتور شوقى ضيف (٤٢):(وكان وراء هذه البيئة الصوفية والبيئة الشيعية السالفة بيئة أهل السنة، لكنها لم تبن هذا الإجلال على أفكار المتصوفة والشيعة وماذهبا إليه من قِدَّم النور المحمدي أو من قِدَّم الوجود المحمدي ولم تبنه أيضًا على أنه صورة الذات الإلهية وكل وجود مستعارٌ منه، وإنما بنته على قدسيته وأنه مَثَلٌ أعلى فى الحياتين الدينية والخُلُقية، ومن أجل ذلك تعلقت بلألائه قلوب أهل السنة، ولهجوا بمديحه والثناء عليه بقصائد رنانة أكثروا فيها من الاستغاثة به. وكانوا إذا حجُّوا أو أدَّوا فريضة الحج زاروا قبره الطاهر فى ذهابهم أو فى إيابهم خاشعين متبتلين).

رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيٌ فى قبره

قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها متعلقةٌ بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأن من نوى منهم زيارته على الأغلب ما قصد فقط زيارة قبره على حدة، ولانوى فى دعاء أو رجاء أن يفوز بشرف زيارة قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وإنما تبدأ النية بأمنية تتردد فى الصدر مشتاقة أن يُكتب لهم الحج هذا العام أو أداء العمرة وهم يعلمون أن زيارة قبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليست من المناسك التعبدية، ولكن زيارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القلب صريحة وعلى اللسان فصيحة تتشكل فى الروح منسكًا منحوتًا قائمًا بذاته تهفو الأفئدة صوامة قوامة فى كل حين برجاء أن يجمعها الله به ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما جمع الروح بالبدن، ومن ثم تصبح الزيارة صحيحة تمامًا ملتزمة بآدابها ومشروعتيها لمن مر به ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو كان بمسجده أو جاء المدينة من خارجها، فهذا هو القصد المستحب: قصد المسجد أصلاً، وزيارة القبر تبعًا، لكن الذي لا يجوز هو السفر لأجل زيارة القبر، فحسن الظن الغالب على أغلب المسلمين أنهم إنما يعلمون أن زيارة قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو غيره من قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعلها مخالف للسنة ولإجماع الأئمة كما أنهم يحافظون ألا يغضبوا نبيهم وألاينزل عليهم غضب ربهم كما قال صلى الله عليه وسلم: **''اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قبْري وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدّ غَضَبُ اللّهِ عَلَى قوْمٍ اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبيَائِهِمْ مَسَاجِدَ''** (٤٣).

فليس غاية سفينة المسلم إلا مرفأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا مثواه، ولكنه يعلم أن القبر محتواه فأين يلقاه؟! ، ولقد رأيتُ معظم من زارالمدينة غايتهم الصلاة بمسجده على الأكثر وزيارته فى القدوم وعند المغادرة وربما عرجوا أثناء اقامتهم بمدينته المنورة وليس هذا من سوء الأدب ولكنه من تحريرالعقيدة من فساد البدع أولاً، وثانيًا فإنهم يأتنسون بجواره ـ صلى الله عليه وسلم ـ والسير في دروب وطرقات ربوع المدينة الطاهرة وسعيهم للصلاة فى مسجد قباء وزيارة البقيع وأُحُد والمساجد التى صلى فيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغية أن يقع قدم على قدم، أو إذا هبت النسائم صافحت حبات تراب طاهرات وجوههم باقية من يوم أحُد أو عند دخوله المدينة مقيمًا، فحيث هم فى المدينة فهم معه يجلسون أمام مسجده وهو مغلق من بعد صلاة العشاء فى ضيافته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

فيقينًا هم يعلمون أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غادر دنيانا حيث الرفيق الأعلى، ولكن فى قلوبهم يعيش حيًا، لحمًا ودمًا، قرآنًا وسنة، رسالةً وسيرة، اسمًا يسمون به أولادهم ويتلذذون بندائهم إياه، يأتيهم النداء للصلاة تذكيرًا بشهادة نبوته خمس مرات فى اليوم والليلة، وفى كل تشهد أوسط وأخير فى صلواتهم، يحيونه ذكرًا دائمًا فى الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يعيشونه زيارة للسلام عليه حيث مرقده، وحلمًا يلامس شغاف قلوبهم على أمل رؤياه منامًا، يستبشرون بمن يدعو لهم بالسفر حيث الحبيب، يحيونه مرجعًا وذاكرة مقدسة كلما ذكرهم باسمه أحد عندما يغضبون أو ينسون أو يقسمون أو يحزنون فكيف يظن الظان أنه ميت ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكيف يموت وهو يرد عليهم سلامهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وكيف يموت وهم يعلمون أنه يحيا حياة برزخية فى قبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما صرح بهذا الكثيرون من أهل السنة بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيٌ في قبره حياة برزخية لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى، وليست من جنس حياة أهل الدنيا بل هي نوع آخر يحصل بها له ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإحساس بالنعيم، ويسمع بها سلام المسلم عليه عندما يرد الله عليه روحه ذلك الوقت.. كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **''مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيّ إلا رَدّ اللّهُ رُوحِي حَتّى أرُدّ عَلَيْهِ السّلاَمَ''**، وخرج البزار بإسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **''إنّ لِلّهِ مَلاَئِكَةً سَيّاحِينَ فِي الأرْضِ يُبَلّغُونِي عَنْ أُمّتِيَ السّلاَمَ''**، وأخرج أبو داود بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **''لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلاَ تَجْعَلُوا قبْرى عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيّ فَإنّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ''**.

وهذه الحياة البرزخية أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله عنها سبحانه بقوله : ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(٤٤) ، وفي قوله عز وجل: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ (٤٥).وروحه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أعلى عليين عند ربه عز وجل، وهو أفضل من الشهداء فيكون له من الحياة البرزخية أكمل من الذي لهم، ولكن لا يلزم من هذه الحياة أنه يعلم

الغيب أو يعلم أمور أهل الدنيا بل ذلك قد انقطع بالموت لقوله صلى الله عليه وسلم :
''إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاّ مِنْ ثَلاثٍ :صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه'' (٤٦)

قال الشيخ الإمام عبدالله بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله :" والذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حى فى قبره حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء، للنصوص عليها فى التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب" (٤٧).
وقال الشيخ العلامة عبدالله أبا بطين: " فحياة الأنبياء حياة برزخية، والله أعلم بحقيقتها. والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات بنص القرآن والسنة، ومن شك فى موته فهو كافر" (٤٨).

كما يقول الشيخ ناصر الدين الألباني: "... فحياة الأنبياء بعد الموت حياة برزخية ، ولنبينا صلى الله عليه وسلم فيها من الخصائص ما ليس لغيره... ولكن لا يجوز التوسع في ذلك بالأقيسة والأهواء" (٤٩).

ومعنى موته ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أنه كغيره من الأموات "انقطع عمله" عن الدنيا فلم تعد حواسه التى كان يطل بها على الدنيا وعلى من حوله تعمل وإن كانت لم تبل ولم تأكلها الأرض **''إِنّ اللهَ حَرّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ''**... كما جاء فى الحديث.

فيجب علينا الإيمان بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حىٌ حياة برزخية كما الأنبياء والمرسلين. وإن تلك الحياة البرزخية لا تنافى موته حقيقة.

نعم.. مات وكيف يكون ميتًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد ظهر للملك نورالدين زنكي فى رؤيا منامية تناقلها غير واحد من المؤرخين مثل :ابن الأثي، وابن خلكان، ومحمد لبيب البتنوني (٥٠)، وابراهيم رفعت باشا في كتابه: "مرآة الحرمين"..وكذلك مؤلف كتاب "تحفة النصر بتلخيص معالم الهجرة" ،يستغيثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ينقذه من أولئك الذين أرادوا سرقة جثمانه الطاهر ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونقله إلى بلادهم، وقد عصم الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أن تمس جسده الشريف يد آثم منهم أو غيرهم. وقد نقل هذه الرؤيا نورالدين على بن أحمدالسمهودي

(٥١)، فقال : (أن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى - ٥٥٧هـ - كان له تهجد يأتى به بالليل وأوراد يأتى بها فنام عقب تهجده فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول : **''انجدني! انقذنى! من هذين''**. فاستيقظ فزعًا ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه - أي المنام نفسه - فاستيقظ وصلى ونام فرآه أيضًا مرة ثالثة فاستيقظ و قال: "لم يبق نوم". وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له : "وما قعودك اخرج الآن إلى المدينة المنورة النبوية واكتم ما رأيت". فتجهز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة فى عشرين نفرًا وبصحبته الوزير ومالٌ كثير، فقدم المدينة فى ستة عشر يومًا. فاغتسل خارجها ودخل فصلى بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع. فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة فى المسجد: "إن السلطان قصد زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأحضر أموالاً للصدقة، فاكتبوا مَنْ عندكم". فكتبوا أهل المدينة كلهم، وأمر السلطان بحضورهم وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التى أراها النبى - صلى الله عليه وسلم - فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالإنصراف إلى أن انفضت الناس. فقال السلطان: "هل بقيَّ أحد لم يأخذ شيئًا من الصدقة؟"، قالوا:"لا"، قال: "تفكروا وتأملوا"... فقالوا :"لم يبق إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئًا وهما صالحان غنيان يُكثران الصدقة على المحاويج - المحتاجين -" ، فانشرح صدره وقال: "عليَّ بهما"، فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشارالنبي صلى الله عليه وسلم إليهما بقوله :**''انجدنى. أنقذني من هذين''**. فقال لهما: "من أنتما؟"، فقالا: "من بلاد المغرب، جئنا حاجين فاخترنا المجاورة فى هذا العام عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: " أصدُقاني"، فصمما على ذلك، فقال: "أين منزلهما؟". فأُخبر بأنهما فى رباط - منزل - قرب الحجرة الشريفة فأمسكهما وحضر إلى منزلهما فرأى فيه مالا وكُتُبًا في الرقائق، ولم ير شيئًاغير ذلك، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير، وقالوا: "إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات فى الروضة الشريفة وزيارة النبى - صلى الله عليه وسلم - وزيارة البقيع كل يوم بُكرة وزيارة قباء كل سبت ولايردان سائلا قط بحيث سدا خُلة أهل المدينة فى هذا العام المجدب"، فقال السلطان: "سبحان الله"، ولم يظهر شيئاً مما رآه. وبقي السلطان يطوف فى البيت بنفسه فرفع حصيرًا في البيت فرأى سردابًا محفورًا ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عند ذلك: "أصدُقاني حالكما". وضربهما ضربًا شديدًا.. فاعترفا بأنهما نصرانيان

بعثهما الصليبيون في زي حجاج المغاربة وأمالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل لسرقة جثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأمرنورالدين بضرب رقابهما، ثم أمر بحفر خندق عظيم حول الحجرة الشريفة من كل جوانبها حتى بلغ الماء وأمر بإذابة رصاص فملأ به الخندق، فصار منه حول الحجرة سور متين لا يستطيع أحد اجتيازه).

قال العلامة الفقيه الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي السعدي الأنصارى :

تواتـــرت الأدلة والنـــقول فما يحصى المصنف مايقولُ
بأن المصطفى حي طــري هلال ليس يطرقة أفـــــولُ
وأن الجسم من بقاع لحــدٍ كورد لا يدنسه الذبـــــول
وأن الهاشمى بكُلّ وصفٍ جميـــــلٌ لا يُغَيّرُهُ الحلولُ
وأنّ الدودَ لا يأتى إليـــــهِ كذا الآفاتُ ليسَ لها وصولُ
ولم تأكل له الغبراءُ لحماً ولا عظماً فأثبتْ ما أقــولُ

فداك أبي وأمي يارسول الله

صلُّوا عليهِ وسَلِّمُوا	**مهما بكُمْ بَعُدَ المَدى**
يصل إليه سلامُكُمْ	**حيٌّ ما أفنـاهُ الرَدى**
في كُلِ وَقتٍ اسمهُ	**مع الآذان تَـــرْدَدَ**
وفي الصلاةِ ذكرهُ	**لا تخلو منه تَشَـهُدَ**
حيٌّ عليه صــلاتُنا	**وَكُلُنَا لَهُ الفِـــــدَا**

إن إعجاز سيد الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليبدو أكثرمايبدو حين يقول المسلم من عهد الصحابة مخاطبًا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **{فداك أبي وأمي يارسول الله}** إلى مسلم هذا العهد من القرن الواحد والعشرين حين يجأر بها صادقًا من قلبه لترفعها الملائكة إلى مقام الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فداك أبى وأمى يارسول الله.

قالت عائشة رضى الله عنها : "بينما نحن جلوس فى بيت أبي بكر فى نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً ، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر: فِداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء فى هذه الساعة إلا لأمر، قالت: فجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فاستأذن، فأذن له، فدخل ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى بكر: **''أخرج مَنْ عِنْدَك''** .فقال أبو بكر : إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :**''فإني قد أذن لي في الخروج''**، فقال أبو بكر: الصحبة بأبى أنت يارسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**''نعم''**(٥٢).

وروى أن أبا بكر قال : نظرتُ إلى قدمي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الغار وقد تقطرتا دمًا فاستبكيتُ وعلمتُ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن تعود الحفاء والجفوة وروى أنه دخل الغار قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليقيه بنفسه وأنه رأى جحرًا فيه فألقمه عقبه لئلا يخرج منه مايؤذي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووضع رأسه فى حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ،فقال : **''مالك يا أبا بكر؟''**، فقال:

لُدِغْتُ فِداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده".
ففي الصحيحين عن أبي ذر أنه قال للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ليلة جعلني الله فداءك مرتين(٥٣).

وفي الصحيحين من حديث أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال : "لما كان يومَ أحُدٍ انهزمَ الناسُ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة بينَ يدَي النبيّ صلى الله عليه وسلم مُجوّبٌ عليهِ بحجَفةٍ له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديدَ النزع ، كَسَرَ يومَئذ قوسَين أو ثلاثاً ، وكان الرجلُ يَمرُّ معه بجعْبةٍ من النّبل فيقولُ : انْثُرها لأبي طلحة . قال : ويُشرِفُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ينظرُ إلى القوم ، فيقولُ أبو طلحة : بأبي أنتَ وأمي ! لا تُشرفْ يُصيبُكَ سهمٌ من سِهام القوم ، نَحري دُونَ نحرك" (٥٤).

وعن قيس بن أبي حازم قال: "رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ"(٥٥).

ونادى النبي صلى الله عليه وسلم :**بلالاً**، وقال: "لبيك وسعديك وأنا فداؤك" (٥٦).

وقالها الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فداك أبي وأمي ـ يوم أحد عندما وقف سعد بن أبي وقاص يدافع عن رسول الله ويحارب المشركين، ويرميهم حتى نالته دعوة الرسول ، حين رآه فسر منه وقال: **''يا سعد، ارم فداك أبي وأمي''** (٥٧) ،فكان سعد يقول: "ما جمع رسول الله أبويه لأحد قبلي، وكانت ابنته عائشة بنت سعد تباهي بذلك وتفخر، وتقول: أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله يوم أحد بالأبوي".

في الصحيحين : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير وسعد : **''فداك أبي وأمي''** .

عن زيد بن وهب عن أبي ذر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :**''أبو ذر''**، فقلت:''لبيك وسعديك يا رسول الله وأنا فداؤك (٥٨).

كما روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي

و إنك لأحب إلي من ولدي و إني لأكون في البيت فإذكرك فما أصبر حتى أتي فأنظر إليك وإذا ذكرتُ موتي و موتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ شيئًا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (٥٩)، (٦٠).

وقد هجا حسان بن ثابت شاعرالرسول صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب الذي هجا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشركما لخيركما الفداء

كما أفتدى الصحابى الجليل سواد بن قارب الدوسي بنفسه ـ نسبة إلى دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران ـ حين قام مقامه الحميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقام حينئذ سواد فقال : "يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم ومن لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس وقد علمتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تناول قومًا أبعد منكم فظفر بهم وأوعد قومًا أكثر منكم فأخافهم ولم يمنعه منكم عدة ولا عدد وكل بلاء منسي إلا بقي أثره في الناس ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه فلم تزالوا خارجين مما فيه أهل البلاء داخلين مما فيه أهل العافية حتى قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد ونقب النقيب عن الغائب ولست أدري لعله تكون للناس جولة فإن تكن فالسلامة منها : الأناة والله يحبها، فأحبوها، فأجابه القوم وسمعوا قوله فقال في ذلك سواد بن قارب وكان ـ رضي الله عنه ـ من أعلم أهل وقته، ورزقنا ثباته :

جلت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمد صلى الإله عليه ما يعتاد

حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا	**أو هل لمن فقد النبي فؤاد ؟**
كنا نحل به جنابا ممرعا	**جف الجناب فأجدب الرواد**
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا	**وتصدعت وجدا به الأكباد**
قل المتاع به وكان عيانه	**حلما تضمن سكرتيه رقاد**
كان العيان هو الطريف وحزنه	**باق لعمرك في النفوس تلاد**
إن النبي وفاته كحياته	**الحق حق والجهاد جهاد**
لو قيل تفدون النبي محمدا	**بذلت له الأموال والأولاد**
وتسارعت فيه النفوس ببذلها	**هذا له الأغياب والأشهاد**
هذا ، وهذا لا يرد نبينا	**لو كان يفديه فداه سواد**

حين يمضى موكب الفداء من عهد صحابته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يصل إلى عهد إخوانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ... حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ :**''السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا''**، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ : **''أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ''**، فَقَالُوا : كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، فَقَالَ : **''أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا''**(٦١).

نعم ..نحن إخوانه صلى الله عليه وسلم وأتباعه الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم : **''من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله''**(٦٢).

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ يَحْيَى حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَيَعْلَى حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ أَخْبَرَهُ قَالَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**''أَشَدُّ أُمَّتِي لِي حُبًّا قَوْمٌ يَكُونُونَ أَوْ يَخْرُجُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ أَعْطَى أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَنَّهُ رَآنِي''**.

ويجب التنويه والتنبيه والعلم على من يتمنون ويكثرون من قولهم : لو أدركنا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وكنا معه أن يتمنى المسلم أن لو أدرك عهده وعاش معه ظناً أنهم كانوا سيظفرون لو أدركوه بفضل الصحبة، بل يجب عليهم أن يحمدوا الله الذي هداهم وعافاهم، لأنه لا يعلم أحد إذا أدركوه ـ فرضاً ـ أيكونون من أتباعه صلى الله عليه وسلم أم من خصومه حينئذ ؟! ، ولقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن جبير بن نفير قال جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمر به رجلٌ فقال :طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لوددنا أنّا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلتُ أعجب ما قال إلا خيراً ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوامٌ أكبهم الله على مناخرهم في جهنم ، لم يجيبوه ولم يصدقوه ، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم تعرفون ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، قد كُفيتُم البلاء بغيركم .

نعم ..نحن إخوانه صلى الله عليه وسلم وأتباعه وكلنا له الفدا، فمن فم الصديق الطاهر ـ رضي الله عنه ـ : فداك أبى وأمى يارسول الله ...نطقتها القلوب الطاهرة فى صدورالأطفال والشباب والعجائز من رجال الأمة ونسائها ، بنفس إخلاص الصحابة بنفس الحب الصادق الطازج المنير ، فهذا من إعجازه صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه ومحبة أتباعه .. حيةٌ دائمةٌ .. حاضرة .. شاهدة .. كاملة .. ربانية .. متصلة .. متواصلة .. متفاعلة .. يَقِظة .. نقولها اليوم وكل يوم كما سيقولها من سيأتى بعدنا :

نفديك بالأرواح ياعلم الهدى .. نقولها كما قالها الدكتورعائض القرنى فى قصيدته بقلمه بالنيابة عن قلوبنا، ولسان حالنا شاهدٌ بصدقنا :

نفديك بالأرواح ياعلم الهدي ..... نفديك بالأعراض والأعمار
نفديك بالأبناء في زمن الصبا ..... نفديك من دكّا إلي دكّار
من دون عرضك ياحبيب قلوبنا .... ضربُ الجماجم من بني المليار
المجدُ يبدأ من محمدٍ شامخاً ..... وبوجهه يزدانُ كل نهار

والحقُ يبدأ من محمدِ مثلما ..... فاض الضياء بروحه في الغار
والعدلُ يبدأ من محمدِ معلناً ..... للناس حق مكانة الأحرار
هو سيد العظماء مامن سيدِ ....إلا له يعنو بكل وقار
هو فجرنا هو نورنا هو فخرنا ..... هو ذخرنا في البدو والحضّار
ودماؤنا تجري بنبض حديثه ..... كالسلسل الجاري من التيار
خفقاتُ أرواح الشعوب بحبّه ..... ودموعهم كالهاطل المدرار
فعليه صلي الله ماسطع الضيا... ..... .وترنمت ورقاءُ بالأشعار
وعليه صلي الله ماالتف الدجي ..... وتردّدت ذكراهُ في الأقطار

إعجاز رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم : محبته التى تجمع كل الفرقاء المختلفون فى وسيلة حبه على حبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيقول المستشرق هاملتون جب : (ما تزال الاحتفالات العائلية تختتم بأدعية وأناشيد في تمجيد الرسول وكل الأمة تراعيها وتشهدها بحماسة في ذلك اليوم المجيد، يوم مولد النبي في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. هنالك ترى المجددين والمقلدين والصوفية والسلفية والعلماء وأفراد الجمهور يلتقون جميعًا معًا على بقعة واحدة، وقد يكون بين نزعاتهم العقلية تنوع واسع متباين، ولكنهم جميعًا وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبهم محمد) (٦٣).

إنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقعة النور الوضاءة فى ثوب الدنيا ، بقعة الأمان والمحبة فى أرض الدنيا والآخرة، حوله يتآلف المختلفون، ويتلاقى المتباعدون، عند ذكر اسمه تلهج الألسنة تسبقها القلوب بالصلاة عليه مهما تباينت درجات الالتزام الإيماني، وتفاوتت مراحل التمسك بتوقير شعائر الدين، لكن **''محمدًا''** في نفس كل منهم هو الجانب الوضيء المضيء الذى لا خلاف عليه ولا خلاف على حبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومثلما كانت معجزته حال حياته أن تلتف القلوب حوله رغم إختلاف عظمتها، لازالت معجزته باقية حتى بعد وفاته، تهفو القلوب إليه طائعةً مختارة من العابد ومن العاصي، من العاشق ومن القالي، من الغالي فيه ومن الجافي عنه، تعشقه إن كنت من أمته، ولا يسعك إلا أن تُجله إن كنت على غير دينه، فقد أرسله الله لهذا ولذاك، وقلب محمدٍ الرحيم اتسع لحب من هو من شيعته و لبغض من فر من رحمته، فلا تزال رحمته فى الأرض تفعل فعلها تناشد كل آبق هارب غارق ويظن أنه ناجٍ وهو يسبح بعيدًا عن سفينة محمد.. ورحمة محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ تُناديه : **يا أخى .. إركب معنا .. فُزْ معنا بالله .. انج بنفسك لله ..**

إنـه **''محمـد''** العظمـة التـى اتسـعت آفاقهـا، وتعـددت نواحيهاـ كمـا يقـول العقاد(٦٤) ـ حتى أصبحت فيها ناحية مقابلة لكل خلق،وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن، وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم والحيلة والصراحة، والألمعية والاجتهاد، و حنكة السن وحمية الشباب... تلك هى بلا ريب عظمة العظمات ومعجزة الإعجاز.....

الهوامش

(١)(صحيح البخارى ٥١٦/١).
(٢) (آل عمران : ١٤٤،١٤٥).

(٣) تفسير القرطبي (٢٢٢/٤).

(٤) عبقرية الصديق صـ ٦٨-٦٩.

(٥) الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ص ١٦.

(٦) الأنعام: ١١٥.

(٧)(مسلم برقم ١٢٩٧) .
(٨) (البخاري برقم ١٧٤٢) .
(٩) عشرة أيام فى حياة الرسول صـ١٨٣.

(١٠) أخرجه البزار، والبيهقي في السنن الكبرى وفي دلائل النبوة ، وعبد بن حميد في مسنده ...
(١١) سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم ص ٩٢.

(١٢) (أخرجه مسلم برقم :٩٧٤) .
(١٣)(البخاري من الألفاظ في جميع المواضع، برقم: ١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، ومسلم برقم : ٢٢٩٦، وما بين الهلالين من صحيح مسلم) .
(١٤) فتح البارى ٣٤٩/٧ .

(١٥)(أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الأبواب (٤/٥) .

(١٦) النساء: ٦٩.

(١٧)(البخاري برقم ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩، ومسلم برقم ٢٤٤٤) .
(١٨) (البخاري رقم ٣٦٨٩ ، مسلم رقم ٢٣٩٨) .

(١٩) فتح الباري (٥٠/٧)، شرح النووي (١٦٦/١٥).

(٢٠) : فتح البارى (٥١/٧).

(٢١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٣٧).

(٢٢)مفتاح دار السعادة (١/٢٥٥) .

(٢٣) أعلام الموقعين (٤/ ١١٩) .

(٢٤) [البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم برقم ٢٤٥٠، واللفظ لمسلم].
(٢٥)[البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم ٢٤٥٠] .
(٢٦) إحياء علوم الدين جـ ١ صـ ٣٠٦.

(٢٨)(حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد وغيره) [للاستزادة : انظر الغرر في فضائل عمر للسيوطى].
(٢٩) فتح البارى ٣٧٣/٧.
(٣٠) رواه أبو داوود في السن .

(٣١) رواه الحاكم.

(٣٢)تكلم الذهبي في السير على صحة هذا الحديث وإن كان قد حسنه الترمذي ورواه الحاكم وصححه.
(٣٣) (رواه أحمد و صححه أحمد شاكر) .
(٣٤) (روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧٥/١٠ وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٩) .
(٣٥) سير أعلام النبلاء: ٥٣٩/٤، الحلية: ٢١٠/٥، الشفا: ٢١/٢].

(٣٦)(رواه البخاري، ٨٤٤، ومسلم ٣٤٠٨) .
(٣٧) مراثى النبى صلى الله عليه وسلم ص ٥٢.
(٣٨)المدائح النبوية ص ٩٤.

(٣٩)من ديوانه محمد رسول الله دارالشروق ١٩٨٦.
(٤٠) لحن الخلود ص٥٧.
(٤١) المدائح النبوية ص ٧٣ .

(٤٢) فصول فى الشعر ونقده ص٢٣١.

(٤٣)حديث ثابت رواه مالك في الموطأ وغيره .
(٤٤) آل عمران : ١٦٩.

(٤٥)البقرة : ١٥٤.

(٤٦) أخرجه مسلم في صحيحه .
(٤٧) [الدرر السنية:١١١٤]
(٤٨)[الدرر السنية:٢|١٦] .

(٤٩) الفوائد الملتقطة فيمن زعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة ص ٢٥.
(٥٠) الرحلةالحجازية ص ٢٤٧

(٥١) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى جـ ١ ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٥٢) صحيح البخارى : باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ٥٥٣/١.

(٥٣) (صحيح البخارى٦٤٤٣) .

(٥٤)(رواه البخاري).

(٥٥) (رواه البخاري).
(٥٦)(رواه أحمد وأبو داود من رواية أبي همام عبد الله بن يسار) .
(٥٧) [متفق عليه].

(٥٨) (إسناده جيد).
(٥٩) (النساء:٦٩) .

(٦٠)(قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران و هو ثقة).
(٦١) (رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن ايوب وغيره - (اخبرنا) أبو الحسن علي بن محمد المقري انبأ الحسن بن محمد بن اسحاق ثنا يوسف بن يعقوب ثنا أبو الربيع ثنا اسمعيل بن جعفر).
(٦٢)(أخرجه: مسلم (٥٠٦٠).
(٦٣)دراسات في حضارة الإسلام ، ص ٢٥٩ هاملتون جب .
(٦٤) عبقرية محمد ص٨٢ .

ثبت بأهم المراجع

أولاً : القرآن الكريـــــم .
ثانياً : كتب السنة الصحيحة الواردة بالهوامش والحواشى .

ثالثا: كتب السير والتراجم:

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر - الطبقات الكبرى لابن سعد- السيرة النبوية لابن هشام - البداية والنهاية لابن كثير - صفة الصفوة لمحمد أبو الفرج - الرياض النضرة للطبري- فضائل الصحابة لابن حنبل - دلائل النبوة للأصبهاني- الاستيعاب لابن عبد البر.

رابعا: تفاسير القرآن الكريم:

القرطبي ـ ابن كثير ـ المنار ـ فى ظلال القرآن ـ أضواء البيان .

خامساً : المصادر والمراجع التالية :

ـ ابن ناصرالدمشقى : سلوة الكئيب بوفاة الحبيب . دار البحوث للدراسات الإسلامية بدبى.
ـ خالد محمد خالد :عشرة أيام فى حياة الرسول . الطبعة الخامسة ، دار المقطم للنشر، مصر٢٠٠٤.
ـ شوقى ضيف (دكتور) : فصول فى الشعرونقده . الطبعة الثالثة ، دارالمعارف ، مصر١٩٨٨.
ـ عباس العقاد : عبقرية محمد . نهضة مصر، مصر .
ـ عباس العقاد :عبقرية الصديق . منشورات الكتب العصرية . مصر.
ـ محمد أبو المجد على (دكتور) : مراثى النبى . الطبعة الثالثة ، مكتبة الآداب ، مصر .
ـ محمود على مكى (دكتور) :المدائح النبوية . الطبعة الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر
ـ هاملتون جب : دراسات فى حضارة الإسلام . الطبعة الثانية ، دارالعلم للملايين، مصر ١٩٧٤

– <u>للتواصل بالكاتب</u>:

elsayedebrahim1@hotmail.com –
elsayedebrahim22@gmail.com –
elsayedebrahim22@yahoo.com –